مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 01 العدد 03 بتاريخ 2020/08/20م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

واقع البحث السوسيولوجي في الجامعة الجزائرية

د. جاب الله طيب / د. منير قندوز

جامعة البويرة – الجزائر / جامعة المسيلة – الجزائر

tayeb_d75@yahoo.fr

mounir.guendouz@univ-msila.dz

الملخص بالعربية:

تلعب السوسيولوجيا دوراً مهماً في قائمة العلوم الحديثة، من خلال تحليل أوضاع المجتمع الحديث وتغيراته ويعتمد عليها باعتبارها من الآليات الهامة لمواجهة متطلبات التكييف والتعامل، وكذالك لتشكيل بناء المجتمع من كل الجوانب. إلا أن الأمر الذي لا يمكن نسيانه في الحقل الاجتماعي أن علم الاجتماع في المجتمع العربي بشكل عام والجامعات الجزائرية بصورة خاصة ما يزال دون آفاق مجتمعية فعالة في التغيير، ولا زال غريباً وبعيداً عن دوره في المجتمع، لأنه لم ينشا في ثقافة وهوية المجتمع الجزائري، ولم تكون هويته الفكرية والنظرية مكونة من تراكمات المجتمع الجزائري، فعلم الاجتماع في الجزائر علم مهمل وغير وظيفي، ربما يعود هذا لعلماء الاجتماع أنفسهم، أو ربما إلى البرامج والآليات التي تسطرها الدولة في مجال البحث العلمي. لذلك ستحاول هذه الورقة تسليط الضوء على وضعية السوسيولوجيا في الجامعة الجزائرية في ظل برامج وإصلاحات التعليم العالي المكثفة في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع – برامج و إصلاحات التعليم العالي – البحث السوسيولوجي– علماء الاجتماع.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

The reality of sociological research in the Algerian University

Dr: djaballah taieb
Dr: mounir guendouz
University of Akli Mohand Oulhaj - Bouira / Algeria
Université of MOHAMED BOUDIAF- MSILA / Algérie
tayeb_d75@yahoo.fr
mounir.guendouz@univ-msila.dz

Abstract:

Sociology plays an important role in the list of modern science, through the analysis of the situation of modern society , and its variations reliable as one of the important mechanisms to meet the requirements of the air conditioning and deal , seems not to form a community-building in all aspects. But which could not be forgotten in the social field that the flag of the meeting in the Arab community in general and the Algerian universities, in particular, still without the prospects for effective community in the change, and still strange away from its role in society, because it did not arise in the culture and identity of Algerian society, not be intellectual identity and theory of the accumulations of Algerian society, and he knew the meeting in Algeria neglected flag and non-functional, maybe this is attributable to the scientists themselves, or perhaps to programs and the mechanisms established by the State in the field of scientific research. Therefore will try this paper to shed light on the status of the social sciences in the Algerian universities under the programs and higher education reforms in this area.

Keywords: Sociology- programs and higher education reforms- Social Research- Sociologists.

مقدمة:

يعد علم الاجتماع من أهم العلوم ذات الصلة بالحياة الإنسانية و أنشطتها اليومية، فأهميته المعرفية العلمية والعملية تظهر من خلال دوره الفعال في الوقوف عند أهم المشكلات الاجتماعية التي تعترض أي مجتمع من المجتمعات. والمتتبع للتراث السوسيولوجي في العالم العربي يجد تكديس للمؤلفات في المكتبات، لكن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التفعيل مغيب رغم اتخاذ كل الآليات والسبل التي تصدرها الدول في هذا المجال حول العلوم الإنسانية والاجتماعية .

والجزائر من الدول التي تعرف إشكالية التطور المعرفي والمنهجي للبحث السيوسيولوجي. هل هذا الإشكال يعود لثقافة سوسيولوجية معرفية بمنظور غربي وافدة على المجتمع الجزائري؟. أم يعود إلى علماء الاجتماع أنفسهم ؟ أم إلى برامج الدولة وإصلاحاتها في مجال التعليم العالي والبحث العلمي؟ كلها عوامل وظيفية تعرفها السوسيولوجيا العربية بشكل عام وعلم الاجتماع الجزائري بشكل خاص.

1- مشكلة الدراسة:

إن معرفة الاجتماعي وفك رموزه وشفراته والقواعد التي تتحكم في علاقات فاعليه وأنساقه المتداخلة ليس بالمهمة السهلة. و لقد تحمل عم الاجتماع هذه المهمة الصعبة منذ بداية ظهوره مع الرواد الأوائل الذين يمتلكون قناعة في ريادة السوسيولوجيا على إيجاد الحلول لكل الأزمات والمشاكل. فعلم الاجتماع من أطرف الدراسات وأكثرها جذبا في فهم الوقائع – لكنه- ليس أسهلها ولا ابسطها لان الظواهر الاجتماعية بشكل عام هي رهانات للصراع وتتغير بتغير الأحداث المحيطة بها، فالسوسيولوجيا بشكل عام تشكل جزاءا من المجتمع وتنتج داخل المجتمع، وتتدخل في المجتمع، فهي إذن واقعة اجتماعية وبالتالي فمن الضروري للسوسيولوجيا أن تتعرف على ذاتها كما يرى " ادغار موران" وما ذهب إليه "ريمون ارون" عندما اعتبر أن أهم ما يميز السوسيولوجيا هي أنها في بحث دائم عن ذاتها وفي تساؤل مستمر حول موضوعها ومنهجها، وهو ما يفسر إلى حد بعيد غياب الإجماع ما بين علماء الاجتماع حول تعريف السوسيولوجيا، وجدير بالذكر أن هذا التساؤل حول الذات السوسيولوجية هو دليل على حيوية علم الاجتماع.

والجزائر من الأرضيات الأولى لدارسة علم الاجتماع منذ التأسيس الخلدوني ومع مرور الأزمنة شهدت الجزائر أحداث كبيرة شكلت مراحل حاسمة في الأطر المعرفية لعلم الاجتماع الجزائري، بداية من السوسيولوجيا الكولينيالية إلى سوسيولوجيا التحرر ثم الاستقلال ومواصلة السير على الإرث السوسيو- الليبرالي الفرنسي إلى مرحلة علم الاجتماع الماركسي بالجزائر، ثم مرحلة التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وانتكاسة علم الاجتماع، كلها إيديولوجيات ومرجعيات أثرت على علم الاجتماع من ناحية التطور المنهجي والمعرفي وجعلته من سوسيولوجيا هادفة إلى علم غير قادر على تحليل الظواهر الاجتماعية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وفي ظل الإصلاحات والبرامج التي تعرفها الجامعة الجزائرية خاصة إصلاحات LMD باعتبارها السبيل الوحيد في إعداد قوى بشرية متخصصة، من أجل التكيف مع الواقع العالمي وتحت قيادة عولمة الجامعة الجزائرية للانتقال من وضعية التكوين التقليدي إلى تكوين أكثر حداثة يتماشى مع المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية، نلتمس ربما تغييرا في واقع التكوين والتاطير للبحوث الاجتماعية والخروج بعلم اجتماع حداثي بهدف تنموي، من خلال علاقته كتكوين جامعي بالمحيط السوسيو- اقتصادي. لكن هذه الإصلاحات الجديدة في برامج التكوين اصطدمت بعدة مشاكل ربما جعلت من البحث السوسيولوجي أكثر تراجعا في تأدية وظيفته: فمشكلة النمو الديمغرافي للطلبة جعلت من نوعية التكوين في علم الاجتماع تعرف نوع من الاختلال، خاصة عملية التوجيه التي تعرف توجيه طلبة محدودي المستوى إلى علم الاجتماع، وكذلك عملية إلغاء التخصصات على مستوى الليسانس وعلاقة هذا العلم بسوق العمل، كلها أزمات جعلتنا نقدم دراسة استشرافية لواقع السوسيولوجيا بالجزائر نتساءل فيها عن مصير علم الاجتماع في ظل المرحلة الإصلاحية لبرامج التعليم العالي والبحث العلمي؟ وما مدى إسهام هذه البرامج في تحسين البحث الاجتماعي؟ وما علاقة السوسيولوجيا كتكوين جامعي ببرامج التعليم العالي والبحث العلمي؟.

2- مدخل عام إلى علم الاجتماع:

لا يمكننا تناول أهم الإصلاحات التي يعرفها قطاع التعليم العالمي في الجزائر ودوره الإصلاحي للعلوم، بدون التطرق أولا للسوسيولوجيا، وخصوصا لموضوعها. مادام الحديث عن العلم عموما مرتبط بالحديث عن موضوعه. فما هو علم الاجتماع وما هي أهم موضوعاته؟.

1.2- إشكالية التعريف:

يعرف علم الاجتماع منذ أزمنة طويلة، إشكالية معروفة لدى عامة السوسيولوجين هي عدم اتفاقهم على تعريف وتحديد علم الاجتماع. وهذا ما بينه ريمون ارون في مقولته الشهيرة: "فعلماء الاجتماع غير متفقين فيما بينهم على شيء، غير : صعوبة تعريف السوسيولوجيا"(بوخريص، 2013، 19). وهذا الاختلاف في التعريف راجع إلى إيديولوجيات فكرية ومعرفية حول موضوع السوسيولوجيا، ويدل هذا على ديمومة البحث عن الذات المعرفية لعلم الاجتماع وهذا راجع إلى ما يلي:(خواجة، 2012، 108)

- اتساع مجال البحث لدى علم الاجتماع.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- تعدد موضوعاته
- تداخل المفاهيم المشكلة له.
- تعدد المدارس التي تدخل ضمن حدوده.

وهذه الصعوبات والتساؤلات حول الذات المعرفية لعلم الاجتماع من الناحية النظرية والمعرفية والمنهجية ليس دليل على ضعف علميته أو تشكيك في أهميته المجتمعية، إنما دليل على حيوية هذا العلم وعلى صلته بالحياة الإنسانية.

وتنقسم التعاريف لعلم الاجتماع حسب المنظورات المعرفية الكبرى، فالنظرة الماكرو – سوسيولوجية تنظر لعلم الاجتماع عكس النظرة الميكرو – سوسيولوجية التي تعتقد الجزء أهم من الكل. والنظرة سيكو – اجتماعية تختلف عن نظرة الماكرو والميكرو – سوسيولوجي، والتي تدعو إلى الاندماج النفسي والاجتماعي لهذا العلم.

إذن كلمة سوسيولوجيا أو علم الاجتماع sociologie ظهرت على يد الفرنسي اوجيست كونت سنة 1830 في الدرس 47 من كتابه دروس في الفلسفة الوضعية وهي لفظة مكونة من شقين:

- ✓ Socio: اشتقت من الكلمة اللاتينية sosius التي تعني المرافق أو الاجتماعي.
- ✓ Logie : اشتقت من الكلمة الإغريقية logos التي تعني: علم.

و بالتالي هناك تعاريف عديدة لعلم الاجتماع من حيث التقسيم والمنظور ومن حيث الإيديولوجية والأحداث التاريخية لكل منظر. و نأخذ تعريفا شاملا من معجم المصطلحات الاجتماعية على انه : "علم من العلوم الإنسانية المتخصصة في دراسة الظواهر الاجتماعية موضوعا وتحليلها علميا بتقنيات خاصة وتفسيرها عقلانيا، استنادا إلى النظر في المجتمعات الإنسانية التاريخية وقوانين تركيبها وتطورها وأدائها. " (عبد العزيز خواجة ، 2012، ص112)

2.2- موضوع السوسيولوجيا:

لا يتحدد العلم في نظر بيار بورديو بمجال من الواقع يعود له بشكل خاص. فالاعتقاد العامي أو العفوي يعطي انطباعا بان الموضوع هو ما ندركه مباشرة من الواقع من ظواهر اجتماعية. لكن في مجال المعرفة العلمية الأمر خلاف ذلك، حيث ينتظم البحث العلمي في الواقع حول موضوعات مبنية بمنهج علمي ينقطع عن

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الواقع العامي الساذج. ولهذا يجب التمييز في علم الاجتماع ما بين الظواهر العامية المقتطعة، وما بين الموضوعات المبنية على منهج علمي وعقلي التي تترجم الواقع السوسيولوجي إلى واقع علمي.

وحدد ادغار موران موضوع السوسيولوجيا من خلال تعريفه لعلم الاجتماع ، بأنها تشكل جزءا من المجتمع، وتنتج داخل المجتمع، وتتدخل في المجتمع، فهي سوسيولوجيا بحق. إذن فما هي موضوعات ومجالات علم الاجتماع، التي يستطيع بفضلها السوسيولوجي التدخل ؟.

- علم الاجتماع الريفي، هو العلم الذي يهتم بالعالم الريفي وتشكيل البنيات الاجتماعية لهذا العالم كدراسة المجال الاجتماعي وخصائص المجتمع الريفي والقروي.
- علم الاجتماع الحضري، يهتم بقيام المدن وظواهر التمدن كالصناعة وكل البناءات الحضرية.
- علم الاجتماع الديني، هو العلم الذي يهتم بالممارسات الدينية والطقوس وكل أشكال القيم الدينية.
- علم الاجتماع العائلي، هو المجال الذي يستطيع السوسيولوجي من خلاله دراسة الظواهر المتعلقة بالزواج مثلا والعلاقات الأسرية .
- علم الاجتماع السياسي، هو العلم الذي يهتم بالظاهرة السياسية مثل الانتخاب ودراسة الرأي العام ،...
- علم الاجتماع التنظيمي وهو المجال المؤسساتي والإداري والجمعوي ...
- والمجال الصحي والتربوي الاقتصادي....الخ. كلها مجالات يستطيع الباحث الاجتماعي أن يتدخل فيها بحكمه فاعل ضمن المجتمع.

3- تطور علم الاجتماع في الجزائر:

إن الحديث عن علم الاجتماع في الجزائر، هو الحديث عن التأسيس الأولي لعلم الاجتماع بشمل عام، حيث يعتبر المجتمع الجزائري من الأرضيات الأولى للدراسات الاجتماعية، من خلال أعمال ابن خلدون و دراسته عن المجتمعات الربية، ثم بعد مرور السنين والأزمنة شهدت الجزائر أحداث كثيرة شكلت مراحل حاسمة في كرونولوجيا علم الاجتماع بالجزائر، منذ السوسيولوجيا الكلولونيالية إلى التطور الإيديولوجي لعلم الاجتماع بالجزائر. ولقد حدد مجموعة من الباحثين الجزائريين التطور المعرفي لعلم الاجتماع في المراحل التالية:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

1.3- المرحلة الكولينيالية:

لقد استهدف علم الاجتماع الكولونيالي في شمال إفريقيا المجتمعات المغاربية في لحظات مبكرة من التاريخ وكان في ما لحقه المجتمع الجزائري، بحيث شكلت مقاربة جديدة في ربوع بلاد المغرب، فالإرث السوسيولوجي يكشف لنا اقتران ظهور البوادر والإرهاصات الأولى للسوسيولوجية الكلونيالية في مهد أطماع الدول الأوروبية، وخاصة المعسكر الفرنسي الذي رصد مجمل الظواهر الاجتماعية على جميع المستويات بما في ذلك الروابط الاجتماعية والأسرية والقبلية، وكذلك علاقة الدولة بالمجتمع وأدوار القبيلة والعلاقات النسبية ودور بعض الفئات الاجتماعية كالفلاحين، المرأة، الشباب، كما كان الاهتمام منصبا على الظاهرة الدينية.

ففي الجزائر عملت السلطات الفرنسية على دراسة البناء الاجتماعي للشعب الجزائري والبحث عن مواطن القوة ومواطن الضعف في هذا النسق عن طريق مجموعة من الجيش والعملاء والباحثين السوسيولوجيين والانثروبولوجيين والضباط والأكاديميين وذلك من اجل تفكيك المجتمع الجزائري ومحو مقوماته الروحية والوطنية وزرع الأفكار الهدامة بأن الجيش الفرنسي لا يقهر وزرع البدع والخرافات وانتهاج سياسة التجهيل(بن عودة، 2012، ص05). لأن الاستعمار الفرنسي كان يعرف أن الشعب الجزائري لا يمكن الاستيلاء عليه إلا بهدم بنائه الاجتماعي وهذا ما توصل إليه، حيث قامت السلطات الفرنسية بدراسة كل المقومات الروحية والدينية والوطنية والثقافية من عادات وتقاليد مستمدة من أصالة الشعب الجزائري، الذي كان متمسكا بهويته وشخصيته القومية الوطنية والدينية. فأدرك المستعمر أن هذا هو موطن القوة في الشعب الجزائري، فقامت بتفكيك هذا التماسك الثقافي والهوياتي من خلال الإيقاع بين العروش والقبائل حتى تتناحر فيما بينها.

وبهذا دخلت السوسيولوجيا إلى الجزائر عن طريق الكلونيالية الفرنسية بغض النظر عما إذا كانت هذه الدراسات موجهة لخدمة الاستعمار الفرنسي أو لخدمة الدراسات الأكاديمية، كما تتلمذ على يد هؤلاء الباحثين الكلونياليين عدد كبير من الطلبة الجزائريين والمغاربة الذين كانوا يدرسون علم الاجتماع ضمن الفلسفة في المعهد الذي تم إحداثه في جامعة الجزائر سنة 1952 وهم الذين تابعوا المسيرة السوسيولوجية في الجزائر وشمال إفريقيا خاصة بعد الاستقلال (بن عودة، 2012، ص02). وبالتالي نجد أن السياسة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

السوسيولوجية الكلونيالية قد ساهمت في نفوذ الاستعمار الفرنسي وتهديم هوية المجتمع الجزائري حيث تعتبر من الآليات التي رسخت العصبية ما بين القبائل الجزائرية.

2.3 – علم الاجتماع في الجزائر و عشرية الاستقلال:

وهي المرحلة التي عقبت استقلال الجزائر وكان علم الاجتماع يدرس بجامعة الجزائر ضمن كلية الآداب والعلوم الاجتماعية من طرف مجموعة من الأساتذة منهم **د.عبد الرحمن بوزيدة، د.فاروق عطية، د. عبد الغني مغربي، د.كلودين شولي ، د. نور الدين حقيقي، د.سيدي بومدين، د.محفوظ سماتي** هؤلاء الرواد الأوائل لعلم الاجتماع في الجزائر ويطلق عليهم اسم الجيل الأول حيث تتلمذوا على يد مجموعة من الباحثين الكلونياليين.

ومن الصفات التي تميزت بها هذه المرحلة من مسيرة علم الاجتماع في الجزائر هو أن الجامعة الجزائرية كانت تابعة للمدرسة الفرنسية موضوعا ومنهجا، من حيث البرامج والغايات والاستراتيجيات، كما ظل التوجه الفرانكفوني للخطاب السوسيولوجي قائما حتى عام 1971، وهو توجه كرس لمسالة التنظير فقط، وهو يفتقر للدراسات الميدانية الواقعية، ويعمل على نقل الإرث السوسيولوجي الفرانكفوني إلى الطلبة، والخلفية السوسيولوجية لهذه المرحلة هي الدوركايمية غالبا، ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل وعلى التحصيل دون التحليل، وعلى الرغم من انتصار الثورة الجزائرية وإعلان الاستقلال عام 1962 إلا أن المقررات الفرنسية في السوسيولوجيا ظلت تعالج مسألة الاستعمال على أنها مسألة إنسانية جاءت لخدمة الشعب الجزائري ونقل الحضارة من الضفة الأوروبية إلى ضفة شمال إفريقيا(بن عودة، 2012، ص06)

إن علم الاجتماع في هذه المرحلة كان متأثر إلى حد بعيد بالمدرسة الفرنسية من حيث البرامج والمناهج وظلت السوسيولوجيا الكلونيالية تدرس في الجامعات الجزائرية رغم الاستقلال، ويظهر هذا جليا من خلال أعمال تلاميذ السوسيولوجيا الكولينيالية من حيث الخطاب الفرنكوفوني والمقاربة الدوركايمية في كل أعمالهم، وبالتالي بقيت السوسيولوجيا الكولينيالية مرسخة في علم الاجتماع بالجزائر.

3.3– مرحلة الاصلاحات المجتمعية:

وهي المرحلة التي شهدت تحولات كبيرة في المجتمع الجزائري، من خلال العديد من الإصلاحات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتي مست قطاع التعليم العالي كباقي القطاعات الأخرى، لهذا كانت الممارسة

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

السوسيولوجية التطبيقية في الجزائر جد غنية وثرية في هذه الحقبة وكان لها الأثر البارز والتدخل الفاعل في متابعة حجم التغيرات الحاصلة في الجزائر، وكانت الدولة الجزائرية تشعر بأن ذلك الاختيار هو اختيارها الاستراتيجي(بن عودة، 2012، ص03) وهنا تم رد الاعتبار للسوسيولوجيا الجزائرية وانتقلت من المنظورات الإيديولوجية إلى الممارسات الميدانية وهذا بحكم التحولات والأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري ، والإصلاحات كلها من اجل تحريك البحث العلمي لدراسة أسباب دفع عجلة النمو الاقتصادي والرقي الاجتماعي وهذا ما يختص به علم الاجتماع .و عرفت هذه المرحلة ظهور السوسيولوجيا الاشتراكية.

4.3- مسيرة علم الاجتماع في ظل التعددية الحزبية:

شكلت هذه المرحلة منعطفا حاسما بالنسبة للمسيرة السوسيولوجية في الجزائر، فبعدما كان هذا العلم في المرحلة التي سبقت علما نقديا إيديولوجيا ثوريا، أصبح مع التوجه الليبرالي الجديد للدولة علما منبوذا، فاقد لكل المكاسب التي حققها في المراحل السابقة، وهذا بالرغم من ضآلتها، فنجد أن الخطاب الرسمي في هذه الفترة قد تغير موقفا وعملا اتجاه العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة، وأصبحت كل الأنظار متجهة نحو العلوم الطبيعية والتكنولوجية، وذلك باسم التنمية والتغيير(بن عودة، 2012، ص03)

و عرفت هذه المرحلة ظهور أحداث و تحولات اجتماعية من بينها :

- أحداث أكتوبر 1988 والمطالبة بالتغيير والديمقراطية مع رافض الواقع الاجتماعي المعاش.
- إعلان التعددية الحزبية في الجزائر التي تشكلت كنتاج للأحداث السابقة، وبهذا الإعلان شكلت الجزائر منعطفا حاسما في تاريخها المعاصر، وتوجهت كل أنظار العالم نحو التجربة الديمقراطية الجزائرية الجديدة.
- العشرية السوداء وهي الفترة التي عرفت أحداث العنف المسلح والقتل والتدمير وأصبحت الجريمة تمارس بدون قيود، وعرفت قتل النخب والمثقفين ومنهم بعض علماء الاجتماع الذين قدموا ثمنا باهظا جراء تلك الأوضاع الأمنية فمنهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من هاجر إلى خارج الوطن.

ومازلت السوسيولوجيا تتخبط في ظل الأحداث التي عرفتها الجزائر، وتبحث عن ذاتها المعرفية، لذلك على المنشغلين بعلم الاجتماع أن يطوروا أطرهم الفكرية والمعرفية من أجل الخروج بسيوسيولوجيا معالجة للأوضاع

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المجتمعية، وليست مسببة في حدوث الأزمات الاجتماعية. ومع البرامج التي عرفتها الجامعة الجزائرية ظهر نوعا من النور المعرفي كبناء المخابر وتوسع التخصصات ومحاولة الاهتمام بالبحث العلمي.

4- مستقبل علم الاجتماع في ظل برامج التعليم العالي و البحث العلمي:

يرى ألان توران أن الجامعة مؤسسة تضمن التعليم العالي والتكوين العلمي و المهني، قد تكون عمومية أو خاصة،كما يرى أن عالم الجامعة هو المكان الذي يمتاز بإعداد نمط ثقافي جديد،كما أنها مؤسسة تقوم بمختلف الوظائف لمختلف المؤسسات الأخرى (غلام الله، 2005، ص44)

دون التطرق للتطور التاريخي للجامعة التي تعتبر موجودة منذ وجود الحضارات، إلا أن طابعها العلمي وتطور العلم وبروز ما يعرف بالجامعة الحديثة وتطورها منذ العصور الوسطى، وكذلك ما عرفت الجامعات الأوربية من تطورات دون التطرق إليها بالتفصيل.

والجامعة الجزائرية من اعرق الجامعات إفريقيا وعربيا، ففي مداخلتنا هذه لا نريد الوقوف على التطور التاريخي للجامعة الجزائرية، فالذي يهمنا هو النسق السوسيو– اقتصادي للجامعة الجزائرية، إلا أنه علينا أن نبين الفهم التاريخي للجامعة الجزائرية،كما يقول دوركايم: وهل التاريخ شيء أخر سوى تحليل الحاضر، إذ الماضي ما هو إلا المجال الذي تتبلور فيه العناصر التي يتكون منها الحاضر.

وقد مرت الجامعة الجزائرية بعدة مراحل منذ الاستعمار:

أ- برامج التعليم العالي في عهد الاستعمار:

فالتعليم العالي آنذاك كان معروفا بالتمييز،كان مؤسسا لخدمة المصالح الاستعمارية فقط، كانت الجامعة الجزائرية في هذه المرحلة تعاني من التبعية الفرنسية في مناهج التدريس، هي ليست جامعة مستقلة بذاتها، فكانت فرنسية المنشأ والتسيير.

ب – برامج التعليم العالي في فترة الاستقلال:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عرفت الجامعة الجزائرية تطورا إبان الاستقلال، ففترة الستينات عرفت استمرار ما هو موروث من المستعمر، حيث كانت امتدادا للجامعة الكولينالية، لذلك كانت مساهمة الجامعة الجزائرية ضئيلة في تنمية المجتمع الجزائري.

ج- فترة الإصلاحات الجذرية:سنوات السبعينات:

ساعد الانفجار الديمغرافي آنذاك في تضاعف عدد الطلبة حيث شهدت الجامعة الجزائرية أول إصلاح تمثل في عملية إصلاح التعليم العالي سنة 1971، حيث كان منعرجا هاما في الإصلاح الشامل للبلاد، ومست الاشتراكية المؤسسات والجامعة وكان الهدف إلغاء التبعية التعليمية للمستعمر وإعطاء نفس جزائري للجامعة(غلام الله، 2005، ص50).

د- فترة الثمانينات:

عرفت فترة الثمانينات ازدياد عدد الطلبة، وظهور مشروع التعريب في الجامعة الجزائرية لكن لم تحضي عملية التعريب بالدعائم البيداغوجية الضرورية لتحقيق وظيفتها.

هـ- فترة التسعينات:

نعرف أن الجزائر مرت بعشرية السوداء، وعرفت أزمة أمنية وعدم استقرار سياسي، وعرفت الحكومة الجزائرية تغيرات في المسؤولين بسبب الأزمة الأمنية والسياسية كلها عوامل أثرت على الجامعة الجزائرية، وعرفت إصلاحات عدة كمشروع استقلال الجامعات وازدياد عدد الطلبة(غلام الله، 2005، ص66) .

و- الجامعة الجزائرية و النظام الإصلاحي الجديد LMD:

01-الجامعة:

لغة: من الفعل جمع،يجمع،جمعا.

جمع المتفرق جمعا أي ضم بعضه إلى البعض، وتجمع انظم.(سهيل، 1998، ص230)

أما اصطلاحا لا يوجد تعريف موحد قائم بذاته منهم من يعرف الجامعة على أنها مؤسسة اجتماعية ثقافية علمية، فهي بمثابة تنظيمات معقدة تتغير بصفة مستمرة مع طبيعة البيئة الخارجية، كما تعرف على أنها: "مؤسسة علمية تتخذ البحث العلمي الموضوعي والامبريقي مثلا أعلى في حمايتها للقيم الاجتماعية، وترسيخ

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

دعائم النظام الاجتماعي القائم, فالجامعة عبارة عن مؤسسة علمية وثقافية، فهي بالفعل تتأثر بما يحيط بها ويجب أن تؤثر فيه، وتعيد تشكيله، فهي من صنع المجتمع لكنها أداته في صنع مستقبله وقياداته العلمية والتقنية والفكرية".(عطاري، 2006، ص13)

لقد عرفت الجامعة الجزائرية ولوج إصلاح جديد ألا وهو النظام الجديد في التعليم العالي (ل م د) الذي هو عبارة عن استجابة للتكيف مع الواقع العالمي، وهذا النظام هو نتاج المنظومة التعليمية الانجلوسكسونية، دون ذكر هيكلة هذا النظام ومدة التكوين فيه، إلا أنه يبقى نظام عالميا،كل دولة وكيف سارت عليه.

والإصلاح التعليمي يعني الانتقال بنظام من وضعية تقليدية إلى مرحلة أكثر حداثة تتماشى مع المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية ومن بين أهداف هذا النظام هي:

* توجيه مستويات التكوين الجامعي في ثلاثة مستويات محددة.
* تمكين الطالب من اختيار مسلك التكوين الملائم لقدراته المحدودة
* توحيد التكوين الجامعي على المستوى الدولي
* تقوية النسق جامعة/ محيط بالتكوين المعرفي، إضافة إلى عدة أهداف أخرى تتعلق بالجانب البيداغوجي والبحث العلمي.

هذا من الجانب النظري لهذا النظام أما الواقع الامبريقي يختلف من بلد إلى أخر، فتطبيق نظام (ل م د) ليس نفسه بين كندا والجزائر إذن مشكلات نجاح هذا النظام تختلف حسب المنظومة الخاصة بكل بلد، ويمكن حصر المشكلات التي تواجه نجاح النظام الجديد فيما يلي :

- **مشكلة العدد المتزايد للطلبة:** يعتبر مشكل التحجيم عائقا مخيفا للجامعة الجزائرية خاصة في المرحلة الأخيرة، وهذا ما تعكسه الإحصائيات السنوية في كل دخول جامعي، حيث وصل عدد الطلبة مليون طالب، حسب الإحصائيات الوزارية وهذا التضخم في ظل عدم توفر الإمكانيات المادية والبيداغوجية ينتج لنا مجموعة من المشاكل تتمثل فيما يلي:
  - زيادة الحاجة للتاطير العلمي والبيداغوجي، وميزانية تسيير البحث.
  - ارتفاع البطالة الجامعية في ظل عدم التوافق ما بين الجامعة وسوق العمل(زرقان، د س، ص5)
  - هجرة الأدمغة بحثا عن وضع أفضل واستثمار أحسن لقدراتهم المعرفية

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

– إهمال نوعية التكوين في ظل النمو الديموغرافي (خراط، 1993، ص126)

صعوبة التمويل: تعتبر معضلة صعوبة التمويل من بين المشاكل التي تعترض ترقية الجامعة والبحث العلمي في البلدان النامية، مقارنة بالدول المتقدمة التي تخصص ميزانية لاباس بها للبحث العلمي باعتباره قطاعا حساسا وفعالا، هذه المشكلة التي تواجه الجامعة الجزائرية أنتجت لنا ضعف جودة التعليم والبحث العلمي.(Bouzid , 2003, p205 .p206)

إضافة إلى مشاكل أخرى بيداغوجية ومشكلة التاطير، وإشكالية التجهيز، كلها عراقيل تقف وراء نجاح أو فشل نظام ل م د خاصة في الجزائر باعتبارها من الدول التي تعاني سوء تسيير معرفي وعلمي وتقف كذلك كعائق للجامعة لجزائرية في انفتاحها على المحيط وتحقيق النسق السوسيو– اقتصادي.

وهذه الإصلاحات والبرامج مست علم الاجتماع باعتباره أحد التخصصات في التكوين الجامعي، ومن ناحية أخرى تطرح قضية تدريس علم الاجتماع في بعض الجامعات الجزائرية إشكاليات عديدة ومتنوعة، ترتبط في غالب الأحيان بجوانب تربوية علمية، منها ما يتصل بالمكون في حد ذاته، ونقصد هنا طبيعة تكوين الأستاذ المتخصص في علم الاجتماع خلال مساره الدراسي والمهني (أفكاره،اتجاهاته...) ومنها ما يتصل بظروف الطالب الذي يلتحق بهذا الفرع، ونعني هنا قدرته على الانسجام ضمن هذا التخصص خاصة إذا علمنا أن معظم الموجهين لهذا الفرع لم يختاروه بمحض إرادتهم، بل التوجيه لعلم الاجتماع إجباري.(سعدون، 2016)

أضف إلى ذلك، تطرح قضية البرامج صعوبات أخرى تضاف إلى سابقتها، ذلك أن هذه البرامج غالبا ما توضع بطريقة متسرعة بحيث يغيب عنها أسلوب النقاش والإثراء من طرف الخبراء والمتخصصين في هذا الميدان. ومن ثم تظهر الحاجة إلى ضرورة التحضير الجيد وإثارة الحوار بين أهل الإختصاص قبل وضع هذه البرامج، خاصة في ظل المرحلة الراهنة التي تشهد تحولات على جميع المجالات ومنها قطاع التعليم العالي.

وما عرفته السوسيولوجيا في هذه السنة خير دليل على إلغاء كل التخصصات على مستوى الليسانس ودمجها كلها في تخصص علم الاجتماع العام، ألا يعد هذا بترا للعلوم الاجتماعية في الجامعة الجزائرية؟ أليس نتاج الثقافة المجتمعية التي تنظر للعلوم الاجتماعية على أنها علم منحط لا قيمة له في سوق العمل؟

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

كان من الأجدر فتح تخصصات أخرى تواكب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر، لكن عندما تلغى التخصصات ويأتى ببرنامج يضم وحدات من المفروض تدريسها في مرحلة الليسانس والمتمثلة في المقاييس التالية مثلا:

- النظريات المعاصرة في علم الاجتماع
- سوسيولوجيا الرابط الاجتماعي.
- الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع.
- سوسيولوجيا الهجرة والمقاييس المنهجية.

نصبح أمام إشكال آخر على مستوى التكوين، يصير حتما على الطالب أن يكمل ماستر من أجل الحصول على التخصص في علم الاجتماع، وبالتالي نصبح أمام معوق وظيفي أخر للتكوين الجامعي على مستوى الماستر هو كثرة المتكونين مع أزمة في التكوين، أزمة أخرى تجعلنا أمام مأزق سوسيولوجي.

5. في بناء الديداكتيك السوسيولوجية (مدخل إلى علم الاجتماع أنموذجا):

سنسعى في هذا العنصر، وبنوع من التركيز إلى تقديم فكرة عامة حول ما نراه كفيلا برصد ملامح الدرس السوسيولوجي من خلال نقطتين أساسيتين هي المضامين والأدوات.

على مستوى المضامين وفي حدود ما يسمح به هذا المقال لا يمكن الإلمام بكل المداخل والمواد التي يدرسها الأستاذ الجامعي، ما يجعلنا نقتصر على مدخل واحد هو مدخل إلى علم الاجتماع، وفي هذا الإطار كذلك نبين ملاحظة قد تبدو أساسية قبل الوقوف على مشاكل وصعوبات التعليمية السوسوسيولوجية، والأمر يتعلق أساسا بالاكتظاظ وتصبح وظيفة الاستاذ في ظل هذه الأزمة كوضعية الطبيب العام، وهو مايضطره إلى سياسة الترقيع.

مدخل إلى علم الاجتماع والذي يحتوي في مضمونه على السياق السوسيو- تاريخي لنشأة هذا العلم من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع مع عرض لأهم الرواد في هذا المدخل.

لعل أهم المضامين التي تقدم إلى الطالب باعتباره مبتدءا هو كيفية التمييز أولا بين الفكر الاجتماعي والسوسيولوجيا كعلم، وهذا ما يقودنا إلى تعريف العلم والمعرفة العلمية وكل المفاهيم التي تنضوي تحتها كالنسبية والموضوغية... ثم تحديد اشكالية نشاة السوسيولوجيا في سؤال كيف نشأت؟ بدل السؤال متى

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

نشأت ؟ وأين نشات؟ ومن هو الأب الروحي؟ ومن هو المؤسس؟ وهي اسئلة تبتعد عن الموضوعية العلمية وتحصرنا في نطاق التعصب والايديولوجيا (فعند الفرنسيين كونت هو الأب، وعند الايطاليين باريتو، و عند الألمان ماكس فيبر، وعند العرب ابن خلدون).

فالسياق الذي اطر هذه النشاة هو سياق ثوري على تعبير جون ديفينيو العلوم الاجتماعية هي بنات الثورة (الثورة الفرنسية والصناعية...) (ثورات علمية كالثورة الثقافية بألمانيا والثورة النيوتونية والثورة العلمية التطورية...)

بعد هذا العرض نضع الطالب أمام سؤال "العلمية" في العلاقة بالفلسفة من جهة ومختلف العلوم الأخرى من جهة اخرى. دون إغفال علاقة هذا العلم بالمسالة المجتمعية، و لعل ما يشكل طرح مسالة الاختلاف فيما يمكن أن يكون عليه علم الاجتماع من الناحية العلمية والعملية سواء في التصور الوضعي او الفينومينولوجي او الماركسي.

من الناحية العلمية يمكن للطالب ان يميز ابستيمولوجيا في الاتجاهات السابقة بين توجهين:

- توجه يسعى إلى جعل علم الاجتماع علما وضعيا تفسيري يكشف عن القوانين المتحكمة في المجتمع والتوجه الماركسي والوضعي وهو توجه شمولي هوليستي يؤمن بحتمية البناءات مع الغاء دور الفاعل.
- اما التوجه الثاني هو فرداني– منهجي (الفيبري) يرى الأولوية في فهم وتاويل الفعل الاجتماعي.

والنتيجة الاختلاف موجود على مستوى المفاهيم والمناهج والإيديولوجيات(الاول بايديلولوجية طبيعية و الثاني بايديلوجية علمية فلسفية انسانية)

وفي سياق هذا العرض يستطيع الطالب أن يكون ينمي عقل علمي نقدي ابستيمولوجي، وبهذا نجعله يفهم أهم الاختلافات المنهجية والمعرفية لكل نظرية، يعني أن يلم الطالب بمفاهيم في إطار نظري ومنهج بيار بورديو في طريقة تأسيسه نظرية الحقول الاجتماعية من خلال دمج الرأسمال الاقتصادي عند ماركس والرأسمال الثقافي عند ماكس فيبر والرأسمال الاجتماعي عند دوركايم.

كان هذا نموذجا في طريقة تصورنا للدرس السوسيولوجي في مجال الإصلاحات التعليمية من خلا تقديم مضمون المقياس، حقيقة لا توجد وصفة ديداكتيك جاهزة للدرس السوسيولوجي، لذلك نعتمد أكثر على الشكل الإبداعي والإبتكاري في تقديم الدرس السوسيولوجي، ويمكن حصر أهم الوسائل فيما يلي:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

- اقتراح نصوص على الطلبة من أجل المعالجة والتحليل
- تنظيم خرجات ميدانية للطلبة تحت إشراف الأستاذ خاصة في المستوى النهائي
- التركيز على الأعمال الشخصية بأن تكون بطابع ميداني والخروج عن التقليد النظري
- التفاعل الالكتروني ما بين الاساتذة والطلبة كانشاء مجموعة منتديات اوصفحات فايسبوكية من أجل المناقشة وإثراء الحوار حول أهم الظواهر المجتمعية الملاحظة.
- ربط تعليمية العلوم الاجتماعية دائما بالميدان خاصة في مجال التخصصات السوسيو- مهنية والسوسيو- حضرية والاقتصادية.
- تنظيم ورشات عمل من أجل معالجة قضايا راهنة متعلقة بالواقع الاجتماعي الغني بالمشكلات الاجتماعية مبتعدين عن إشكالية البحث النظري.
- تلبية متطلبات وحاجات سوق العمل من الكفاءات العلمية والمهنية التي تتماشى ومهارات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والذكاء الاصطناعي، كما حددتها وثيقة مشروع استراتيجية التربية العربية لتطوير التعليم العالي سنة 2003 كما يلي (طعيمة، البندري، 2004، ص542):
- تمكين المتعلم من الوسائل اللازمة لتطوير معارفه ومهاراته الفكرية والسلوكية باستمرار، تطويراً يؤهله للقيام بوظائف ومهن جديدة، أو المهن السائدة.
- تمكين المتعلم من القدرات والوسائل اللازمة للبحث عن فرص العمل، ومساعدته في خلق الفرص لنفسه من خلال الأعمال الحرة والمشاريع والأفكار الابتكارية الجديدة.

- تمكين المتعلم من التعامل مع مستجدات محيط العمل وتقنياته المتغيرة، وقدرته المستمرة على التطور والمتابعة والتعامل مع مستجدات وتقنيات تتغير وتتطور باستمرار.

- خلق وبناء بيئة تعليمية تفاعلية من خلال إيجاد وتوفير بيئة تعتمد على وسائل تكنولوجيا المعلومات الحديثة، وتساهم إسهاماً ايجابياً في تعزيز الاتجاهات التربوية والتعليمية الحديثة للمتعلمين، بحيث تصبح بيئة إلكترونية (العسيلي، 2000، ص. 56) تحتوي على تجهيزات بيئة تفاعلية متطورة.

خاتمة:

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

بعد هذا العرض يمكننا القول أن أزمة علم الاجتماع في الجزائر، هي أزمة مجتمعية من المشتغلين في هذا العلم ومن المتلقين لهذا التخصص– حسب العديد من المفكرين- و لهذا فان الخروج من المأزق الذي تعاني منه السوسيولوجيا ، لا يستدعي فقط إعادة النظر في برامج البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، بل يتعداه إلى إعادة النظر في نظرة علماء الاجتماع الجزائريين أنفسهم إلى هذا العلم بإعادة إنتاج علم اجتماع يتوافق مع المنظومة الثقافية للمجتمع الجزائري لتجاوز العقم النظري على مستوى النظريات، والخروج بإبداع فكري تجديدي يمكنه وضع لمسته التغيرية على واقع المجتمع الجزائري.

و على ضوء هذا الطرح نقترح مايلي :

أولا على المستوى التكويني:

- إعادة إرجاع التخصص على مستوى الليسانس مع فتح تخصصات جديدة في علم الاجتماع تساير التطورات الحاصلة بالمجتمع الجزائري.
- الاهتمام بالمتخصصين في هذا المجال من خلال استثمار طاقتهم الفكرية في التكوين المعرفي.
- ضرورة التنسيق بين جميع التخصصات التي تدرس على مستوى المراكز والجامعات على المستوى الوطني قصد تبادل الخبرات والتجارب بين الباحثين.
- إنشاء مركز وطني متخصص في البحث الاجتماعي يضم علماء اجتماع، علماء نفس، علماء في الانثربولوجيا،التاريخ...مع تزويده بكل المستلزمات المادية والبشرية على غرار مراكز البحوث في الدول العربية والأجنبية.
- إنشاء شبكات مؤتمرات الفيديو أو ما يعرف بالفيديوكونفرانس Video Conference، هي إحدى الابتكارات التكنولوجية التعليمية الحديثة، التي تسمح للأستاذ باللقاء مع طلابه من مختلف الأماكن يسمح بالتحاور ونقل المعلومات بأشكالها المختلفة، ويستخدم أيضا لتدريب الأساتذة في أماكن عملهم تدريبا حيا تفاعليا، يسمح بالنقاش بين الطالب والأستاذ، وتلقى التكليفات وتلقى التغذية الراجعة عليها بسهولة وتساعد على التنسيق بين جميع التخصصات.

ثانيا –على مستوى البحث العلمي:

- الاهتمام بتشجيع وتحفيز البحث العلمي من طرف الهيئات المسؤولة.